الترجمة

- تتمة -

وفي المسألة نكتفي باعادة ما كتبناه بشأنها ضمن مقال سبق نشره في هذه المجلة منذ عامين ، فقد يزعم البعض من المستعربين ويزعم معهم المغرمون بلغات الاجانب والمتشبعون بروح لهجاتها وتقاليدها ان العربية لغة عاجزة لم تقدر ولن تقدر على اعطاء الكفاية من حاجة البيان عن كل أغراض المدنية الحديثة فيما أتت وتاتي به بعد اي أنها لغة ضيقة محدودة مقتصرة على القديم قاصرة عن الجديد فيما يعن فيه من شديد الضرورة الى تمام الاعراب عن خوالجه الطارئة وشتى معانيه وتصوراته وضمائره .

هكذا يقولون وهكذا نراهم يتأدون في الآخر من مقدمات اقوالهم هذه الى نتيجة الدعوى بانها لغة ميتة كاللتينية واليونانية وغيرهما من اللغات التي اخنى عليها الدهر ولم يبق منها الا النبأ والاثر ويضيفون الى ذلك نشر الدعوة فينا الى الاجهاض على ما تبقى في العربية من رمق كما يحسبون والى اقبارها وحثو تراب الهجران عليها واستبدالها باداة وضعية اخرى في نظرهم اوفق منها للمفاهمة وارحب صدراً وانسب للخطاب .

ولكن اين حال العربية من مقالهم واين الحق مما يزعمون ؟

لقد سايرت هاته اللغة العتيقة ابناءها حذواً بحذو في كل المسافة التي قطعها العنصر العربي في طريق الحياة بأطوارها وتاراتها على ضوء مصباح التاريخ وطبق طبيعة النشوء من البداوة الى الحضارة ومن عبادة الاصنام الى عبادة الخالق ومن رعاية الابل الى رعاية الامم ومن وصف النوق الى وصف النجوم وتحملت صدمات الترجمة عن سائر معلومات اليونانيين وغيرهم منذ عصر الخليفة المامون العباسي فمن بعده ووسعت أفكار المؤلفين في سائر الفنون وخواطر الكتاب والشعراء في سائر أبواب القول وأتت على نتائج عقول النوابغ من أبناء الاسلام في كل ما مطلب من مطالب الحياة الفكرية فيه من عهده الاول الى هذه العهود التي توسعت فيها المدارك وتضاعفت المتناولات العلمية وغزرت بواعث التحرير لدى شعوب الناطقين بالضاد الذين قد تجدد تهذب معارفهم وتنور أفكارهم وتحرر تقاليدهم الكتابية بقدر ما تعددت فيهم أسباب الادب ووسائل الدراية ، وفوق هذا كله اوفت بالدلالة من كلام الله على كافة معانيه باشاراته ورموزه واسراره وتعاليمه ونصائحه وتشريعاته وقصصه وبسائر متعلقات مراده من الخلق .

فلعمري أنها لمن اخصب اللغات جوهراً وأغناها مصدراً واثراها مادة وازكاها روحاً واعلاها بياناً واقدرها على التعبير عن كل ما تقتضيه الازمان والاوساط من حاجات الضمائر وكل جديد من ولائد العصر الحاضر ومعارفه ومخترعاته ودواعي مدنيته .

ولعمري ما الميت في الحقيقة بلغة العرب فانها لا زالت متمتعة بالوجود والمركز اللائق بها من العقول والالسنة ولقد أحاطت بها الحياة احاطة السهاد الصالح بالجذر العريق في التربة المريعة ولكن الناعين عليها الجمود والقصور والناعين لها الفناء والدثور هم الاموات وهي الحية وهي القادرة وهم العاجزون ، ولا تزال اللغة العربية كذالك حية قادرة يحرسها القرآن والدين وترعاها روحها العالية المؤثرة الفاعلة الى ما يحياه القرآن كلام الله القائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولقد وقف ابناء العربية الاولون كما سبق ذكره في صف اولائك الذين فكروا في وجوب توسيع اللغات جرياً منهم وراء حفظ وجودها ففتحوا مجال لغتهم الى كل ما تقتضيه الحياة لان اللغة وسيلة التعامل واداة التفاهم بين الناس وكلما اتسعت دائرة التعامل والتفاهم مست الحاجة الى ترقية اللغة اذ هي واسطة ذلك والا تعطل سير الاجتماع ووقفت حركة العمران .

ولا أدل على اعتناء العرب بتوليد اللغة لتحفظ حياتها الى مدى الخلود مما نراهم قد جعلوه من سننهم لذلك تلك القواعد الكلية التي تقررت عندنا الآن علمياً فحسب وما كان للعمل منها أدنى نصيب كالقلب والابدال بأنواعه والنحت باشكاله والاشتقاق وهو تحويل اللفظ الواحد الى صيغ مختلفة تدل على غير ما دل عليه اللفظ الاصلي وكالارتجال والتعريب وقد كان لاجدادنا اليد الطولى في كلها .

فهذه اللغة التي لها ما ذكرناه من جملة مرافق توسعتها وطرق تهيئتها هي التي يطعن الطاعنون اليوم فيها بانها ميتة أو غير كافية لمختلف الآلات الجديدة .

ولكن فريق الطاعنين قد يكون معذوراً ما .بالنظر الى الصعوبة التي طرأت على اللغة العربية منذ عهد الانحطاط اللغوي المقترن حسب العادة والسبب بالانحطاط الادبي فان الاقدمين كانوا يكتبون عربيتهم سهلة بسيطة يفهمها كل انسان لانهم كانوا اغنياء العقول ولهم من ثروة الفكر ما حداهم لان يعتمدوا الكتابة لمصلحة مسائل العلم أي أنهم كانوا يحفلون بالمعاني التي هي أرواح الالفاظ ومقاصد الخطابات وضمائر المتكلمين وما الالفاظ عندهم الا أوعية للمعاني وقوالب للاغراض ثم خلف من بعدهم خلف اضاعوا التراث فقصروا عن شأو السابقين وأعوزتهم الافكار وضاقت بهم سبل الابداع والابتكار فركنوا الى التفنن في سرد أحزاب الكلمات ولوك قشور العبارات حتى صار انشاؤهم تقعراً بالسفاسف والشقاشق وصرنا — بينما نرى مطلق الناس من ابناء اللغات الاجنبية يقرؤ المجلدات في لغته من غير أن تشكل عليه لفظة أو تلتبس عليه جملة — نشاهد حتى العارفين عندنا كثيراً ما يحتاجون للمعاجم لاستيعاب أقصر قطعة شعرية أو مقامة أدبية والعلماء يكتبون أكداساً من الشروح على مجرد قصيدة من القصائد كأن العربية حلية للخاصة لا ءالة تفاهم بين الناس .

ولم يقتصر الكتاب على التقعر والتعمق في نوع كتابة الادب الصرف بل تسرب ذلك أيضاً الى كتابات جل العلوم والفنون الاخرى وهكذا نقرؤ كتب الاقدمين من أمهات التآليف السابقة فنجدها واضحة جلية ونطالع كتب المتأخرين فنلفيها قلقة غامضة جافة وقد تعب وأغرب مصنفوها من أهل الشرح والتعليق والتقرير في تشعيب المقاصد وتعمية المعاني على طلابها رغم تخصصها بفنون تمس الحاجة منها الى تسهيل المنال ما أمكن .

شأن اللغة هو شأن الدين أيضاً بعد أن كان سهل التناول سمح الحنيفية واضح البرهان طغى عليه بسطاء المتكلمين فأدخلوا عليه من زياداتهم واشكالاتهم ما طمس بياض وجهه وعسر يسره وقلب محاسنه الصحيحة ترهات وأباطيل وصعوبات .

فهذه ناحية من النواحي التي تسرب منها الضعف الى ثقافتنا الكتابية وهي من أسباب اساءة فريق من الناس ظنه باللغة العربية ولو أن هذا الفريق استبطن الواقع لعلم أن الذنب ليس ذنب اللغة وانما هو ذنب الكاتب .

كما أن الطاعنين معذورون أيضاً بالنظر الى خصوص جهة الفساد العرضي الطارئ على العربية من مخالفات واغرابات وتغييرات المتفرنجين المغرمين بتقليد الاروباويين في مناحي تفكيراتهم الخاصة بدعوى أنه تجديد وانما هو انسلاخ عن الميزة في اللغة وتمرد عن الاوضاع بل قصد الى المحو والتغيير .

على أن البلادات التي تتكلم العربية واسعة الاطراف والوصل بينها عسير ولا زلنا لم نتوفر على القيام بتكوين وحدة تبعث على حشد الجموع ونشر الافكار وتعميم المعارف في سائر طبقات الامة العربية والطبقة العالمة القادرة فينا على شيء من ذلك أقلية تافهة تعجز غالباً عن مواصلة البث والتثبيت في الاذهان فأدى ذلك الى تنوع في التراكيب وتباين في المصطلحات غط على جانب عظيم من محاسن وجه العربية واذرى على سلاستها قتام عسر في الفهم على كل مزاول لا يستعين بلغة أجنبية واذا ما تمادينا (لا قدر الله) على ضلال هذا العمل الذي يئول الى اختصاص كل قطر بأوضاع والفاظ ومميزات على حسب اختلاف الاذواق والمناسبات فقد تزداد العربية من جراء هذا الامر صعوبة شاذة تربو على الصعوبة التي اكتسبتها من تجزؤ العنصر العربي قبل الاسلام من طامة الالفاظ المشتركة والكلمات المترادفات .

والحقيقة أن اللغة العربية لغة حية كاملة لا تحتاج الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وانما هي محتاجة لجوهرة ناصعة مؤتلقة تلطخت بأوساخ أكف المتناولين الى تطهير وصقل والى حسن ذوق ومهارة والى سليقة خالصة وملكة لا تعرف التعمل والكلفة الامر الذي فهمه الكثيرون من كتاب المشرق فتركوا القديم أي قديم عهد الانحطاط من جهة وتركوا من جهة أخرى هذا الحديث المائل الى تقليد الاوروباويين وسلكوا بين ذلك وهذا سبيلاً وسطا أحسنوا فيه الى العربية كل الاحسان خصوصاً وقد أصبح لهم الآن من العمل للمعاني ما يشغلهم عن العمل للالفاظ ومن المادة العربية ما يغنيهم عن الافتقار الى الاداة الغربية فجاءت كتاباتهم فكراً جديداً في قالب عتيق .

ان مسألة اللغة مسألة حيوية للمتكلمين بها فهي عنوان حياتهم وظرف آدابهم ومستقر تاريخهم وأداة نهضتهم وشمل وحدتهم ومصباح فكرهم وشعار قوميتهم وأساس صرح كيانهم فيجب علينا أن نبذل لها تمام العناية وأن نفرغ الوسع في القيام بالمحافظة عليها والذب عن حياضها ومن أنفع الوسائل الى ذلك السعي في تخليصها

من براثين الفضول الاجنبي والفوضى الداخلية والسير بها على مهيع الوضوح والجلاء والسهولة التي هي بعض مقوماتها وجزء من محاسنها وطرف من مقاصدها التي خلقت لها كآلة من آلات التفاهم والخطاب والرجوع بها الى صدرها الاول وبساطتها القديمة ، والكاتب بصدد العمل لغيره لا لنفسه وهو انما يكتب للتفهيم والتبليغ لا للتزيين والتباهي بالالفاظ الامر الذي يطالب طائفة بالتباعد عن الغريب والحوشي والعناية بالمعنى أكثر من العبارة ، ويقتضي من الاخرى مزيداً في رعاية ميزة اللغة العربية واتباع تراكيبها الخاصة .

ثم أن العربية تستلزم علاجاً آخر فانها من حيث كثرة مفرداتها وتنوع مصطلحاتها الراجع جل سببه الى اختلاف قبائل العرب قديما ثم الى مسايرتها حياة أهلها في شتى الاقطار التي ملكوها وبين كثير الامم التي ساكنوها بعد ثم الى تفرق الشعوب العربية المتحفزة الآن للافكار العصرية تظهر للناظر الذي لم يسبر غورها ولم يستوعب كنوزها لغة فوضوية النظام مبعثرة المواد عسيرة الجمع كئودة الحمل على ان ذلك نحسبه بحق ثروة نباهي بها اللغات ونفاخر بها الآداب .

الا انا نرى من أهم وسائل المحافظة على لغتنا السمحاء أيضاً ضبط مفرداتها وتوحيد مصطلحاتها بل حصرها فيما نحتاج اليه منها جرياً مع مقتضيات الوقت فنتمشى عليه وتكون عربيتنا في مقدور معرفة كل احد من غير أن نهمل شيئاً من التراث العظيم الذي تركه الاجداد وانما نجعله ذخيرة نتفهم بها أدب الجزيرة ونرجع اليها في مناسبات ومقاصد خاصة من كتابة الشعر والادب الصرف ، وقد سبق لنا استعمال شيء منها في المجلة نفسها اردنا به أن نصور للقراء أمراً يئول فيه أهل اللغات الاجنبية الى ريشة الرسامين لا غير فان الاجناس تجد في لغاتها وتجد في كتابتها الكفاية التامة للوازم اعرافها وضروريات احوالها وللمتكلمين بالضاد في مثل الحريريات هاته احدى كلماتها معجمة والاخرى مهملة وتلك تتضمن عبارات تقرأ طرداً ورداً واخرى حروفها احداها منقوط والاخر من غير نقط وغير ذلك من وسائل التفنن في الالفاظ مجال واسع وميدان فسيح للتفكهة وترويح الفكر ، ولاهل الكتابة العربية في هندسة التخطيط وارسال الحروف تتعانق على الصفائح والجدران في تزيين المنازل والديار من التحفة للنظر ما يتطلبه كثير من الامم سواهم من التماثيل والصور .

وكذلك من وسائل حماية اللغة ترقية أسلوب التعليم ونبذ الكتب المتناولة التي تدخل الملل على الطالب وتجعله يسيء ظنه بالعربية .

والحق الذي لا خطأ معه أن جل هاته المؤلفات ان لم نقل كلها صعبة المنال عديمة الجدوى على التلاميذ بل طامة كبرى على نفائس عقولهم وأفكارهم ومواهبهم وضنائن أعمارهم التي يضيعونها في تفهم العبارات الكزة التي تنفر من العربية وتدعو الشبان الى استنكارها وطلب العلوم في غيرها .

فلاغرو أن نرفع الصوت بوجوب نبذ هذه الكتب وطرحها مع المهجورات معتقدين أنه من أنفع الوسائل لايجاد نهضة في العلوم وحياة جديدة في اللغة ولا غرو أن نود تنفيذ الفكرة فيه ولو أدى الى ما أدى اليه من الاخناء على الاكداس المتراكمة من الشروح والتعاليق والطرر والذيول والحواشي والتكاميل .

ولعل ما كتبناه في خصوص هاته المسألة به كفاية ، واذا ما ذهب بنا الموضوع الى التوسع في الحديث عن اللغة فلأن الترجمة ليست كما يظنها عموم الناس عملية ميكانيكية لنقل الكلام من لسان الى آخر بل الترجمة صناعة دقيقة تقتضي اطلاعاً واسعاً وعلماً غزيراً ولا بد للمترجم أن يحيط معرفة بمواطن الضعف من اللغة ووجوه علاجها ليمكنه أن يراعي ما يصلح في تعاطي صناعته .

وقد اهتم المؤتمر الاسلامي في اجتماعه سنة ١٣٥٠ بالمسألة اهتماماً زائداً فقرّر وجوب عمل معجم للعربية يؤلف على احدث نمط وصلت اليه الامم الراقية تذكر فيه المصطلحات العلمية والفنية الحديثة وتشرح فيه الكلمات شرحاً يتفق مع آخر ما وصل اليه العلم . وفي سنة ١٣٥١ أصدر جلالة السلطان فؤاد ملك مصر مرسوماً بتأسيس مجمع باسم مجمع اللغة العربية الملكي يكون من جملة أغراضه « المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر ابحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مداولاتها ».

ولا ريب أن مصر ستؤدي بهذا المشروع العظيم للعروبة خدمة يخلدها لها الدهر ويحفظها لها الزمان ، الا ان الاخوة التي تجمعنا بأرض الكنانة تسمح لنا بابداء ملاحظتين : أما الاولى فان المغارب الثلاث لم تعط في المجمع عدداً من المقاعد يناسب منزلتها

فقد تشتمل هاته الاقطار على الثلث من مجموع الناطقين بالضاد وعلى اثنتين من الكليات الثلاثة التي يعدها العالم الاسلامي من أكبر مفاخره ، وهي وارثة الحضارة الاندلسية ولها بفضل قربها من اوربا واتصالها بالكليات الافرنسية اطلاع واسع بالعلوم والفنون العصرية وأما الثانية فان جلسات المجمع الوقور قليلة جداً بالنسبة الى العمل الموكول الى مقدرته والجهد الذي تتطلبه منه الامم الاسلامية المضطرة الى السرعة في بناء صرحها الجديد .

ثم انا رأيناه في جلساته الاولى يسير على منهج « أكادمية » فرنسا فأطال البحث في كلمات صارت من المتداولة تحت أقلام الكتاب مثل «الفنون الجميلة» وقرر استبدالها بـ «الفنون الرفيعة» وقد تكون هاته الترجمة أوفق وقد يسوغ لاصحاب الترجمة الاولى أن يعارضوها بحجة أن الجمال المقصود هنا هو الجمال من حيث الفن وعلى كل حال فالمسألة لا تستحق المناقشة التي تستغرق الوقت الطويل ما دمنا مطالبين باعمال أهم منها بكثير ، فان مهمة المجمع العربي في نظرنا غير مهمة «الاكادمية» الافرنسية فان هاته أسست لمسايرة اللغة ، وأما مجمعنا فمهمته في نظرنا القصير يجب أن تكون مهمة « تكوين » وانا لنرجو منه أن يخرج لنا في سنوات قليلة معجما تاماً للعربية يشتمل على اسماء المسميات والمصطلحات الجديدة وبعبارة أخرى ننتظر منه أن يكون قبل كل شيء مجمعاً للترجمة التي جادت على العالم العربي بأمثال ابن المقفع والحسن بن سهل وعلي ابن زياد وزكي باشا وغيرهم من الكتاب ، وله بعد ذلك أن يباشر ما عن له من المباحث والدراسات .

م .

المياه النافعة

لا شيء من ثروات المغرب الطبيعية أنفع وأعز من المياه التي تتدفق من بعض العيون كعين « لالة حية » التي تنبع بوادي أكنور ما بين بلاد أزمور وبلاد زيان ولماس الثابت نفعها عند كل من يعرف خصائصها .

وقد ينسب سكان تلك النواحي أصلها الى المولى يعقوب الذي كان وقف نفسه على البحث عن المياه النافعة للصحة فيذكرون انه تاه ذات يوم بوادي أكنور وأخذ التعب والحر والعطش منه كل مأخذ ، وكان فصل الصيف والوادي لا ماء فيه ، ولما احس بالضعف قام للصلاة وكان وقتها قد حان فاتكأ بيده على صخرة كانت هناك فسقطت الصخرة وانفجر الماء من الارض فاطلق المولى يعقوب على العين اسم « لالة حية » لانها ردت اليه الحياة .

ويحكي آخرون ان « لالة حية » اسم بنت له من امرأة تزوجها هناك .

الى غير ذلك من الاساطير التي تدل على أهمية هذه العين ومبلغ اعتقاد الناس في منافع مياهها عن تجربة واختبار .

وقد كلف المشير ليوطي الذي لا يجهل احترامه للعوائد واهتمامه بصحة الشعب طبيبه الخاص بالبحث عن هذه العين ، وحلل ماءها علماء الحكومة الحامية . ثم ان جلالة السلطان كلف أخيراً بظهير شريف شركة قوية باستغلال الماء المذكور وجعله في متناول العموم مع كل الضمانات الصحية التي تتطلبها قوانين الدولة .

فهذا هو الماء الذي يباع الان في كل محل تحت اسم (بدّا) وقد اختير هذا الاسم لسهولة النطق به لدى مختلف السكان وهو ايضاً اسم امرأة حربية معظمة في بلادها وكانت تعيش بأكنور بالقرب من العين المذكورة .

فاشربوا من ماء (عين بدّا) ملك الحكومة المغربية ، فهو نقي وصحي ومقوي وثمنه زهيد للغاية ، ويوجد لدى كل بائع نزيه يهتم بزبنائه .

شركة استغلال المياه المعدنية بولماس